مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (9) العدد (2) 2025
ISSN (Print): 2710-446x ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2025/11/16م تاريخ إرسال التعديلات: 2025/12/22م تاريخ النشر: 2025/12/30م

التطور الفكري للإنسان في منطقة الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث "الصحراء الليبية أنموذجا"

فاطمة ابوالقاسم السعداوي
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم بدر، جامعة الزنتان، ليبيا
fatima.alsaedawi@uoz.edu.ly

المستخلص:

كانت الصحراء الكبرى منذ عهود قديمة، تعج بالإنسان والحيوان، وذلك خلال العصور الحجرية القديمة، وشكلت الصحراء الليبية الجزء الأوسط من هذه الصحراء، وقد أسهم الموقع الجغرافي للصحراء في توافد الهجرات البشرية والحيوانية إليها، والاستقرار فيها؛ لكونها منطقة جاذبة للإنسان والحيوان؛ لتوفر الموارد المائية، والغطاء النباتي، والغابات الكثيفة، فقد كانت السلاسل الجبلية مغطاة بالأشجار، والتي شكلت أهم مناطق الفن الصخري، وتمثل النقوش والرسوم الصخرية التي عثر عليها بالصحراء الليبية قمة الإبداع الفني التي وصل إليها فكر الإنسان القديم، والتي نفذت على سطوح صخرية، في الكهوف وخارجها وعلى ضفاف الأودية، لا سيما وقد مرت النقوش والرسوم الصخرية بمراحل عدة قد تشابهت إلى حد بعيد في مضمونها وأفكارها، واختلفت في الزمن والأسلوب والتقنيات.

تنوعت المراحل التي مرت بها الصحراء الليبية حسب تنوع الظروف المناخية، فالأعمال القديمة التي تركها صيادو الحيوانات الكبيرة، ربما تعود لفترة الرطوبة الكبيرة، لكثرة الحيوانات الكبيرة والمتوحشة، إلا أنه بعد ذلك أصبح الصيد يفقد دوره كوسيلة للعيش؛ لعل السبب في ذلك نقص الحيوانات أو وجود بدائل اقتصادية أخرى جديدة، ظهرت خلال الدور الفني المعروف بالرؤوس المستديرة، حين استقر الإنسان القديم حول مجاري المياه، وبدأ في صناعة الفخار، ثم مع بداية الجدب اتجه إلى تربية الحيوانات، لاسيما في المرتفعات، التي ظهر فيها الفن الصخري الإبداعي للحضارة الرعوية، بأرقى مستوياته في الأسلوب والتعبير، ثم ظهر الحصان لحاجة الإنسان القديم إليه، ومع تزايد الجفاف في المنطقة، ظهر الجمل وربما يعود ذلك لقدرته على التحمل والتعايش في الصحراء.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الكبرى، التطور الفكري، الإنسان القديم.

المقدمة:

تعد فترة العصر الحجري الحديث، مرحلة تحول لفترة عصور ما قبل التاريخ، بدءا من الجفاف الذي أصاب المنطقة فأدى إلى زحف الصحراء نحو الساحل؛ لذا تعد من الفترات القاسية التي مرت بها منطقة

الصحراء الكبرى، إلا أنه من خلالها ظهرت عبقرية الإنسان عند تحديه ومقاومته للتغير الطبيعي في بيئته، حتى وصل لمعرفة طرق أدت به إلى استئناس الحيوانات وصيدها ثم رعيها، وما فتئ أن عرف زراعة الحبوب، وبذلك أصبح منتجا لغذائه بعد أن كان جامعا له، ما كان سببا في تغير نظم حياته، من ترحال وتنقل إلى استقرار في جماعات قرب مصادر المياه، أدى به في نهاية المطاف لبناء المساكن، بدل اللجوء للكهوف والأشجار، ثم تكوين القرى، واكتشاف المعادن، وصناعة الأواني الفخارية لاستخدامها في تخزين طعامه وشرابه، فيما تعد الفنون الصخرية أقدم أشكال التعبير التي عرفها الإنسان، ذلك الفن الذي يشمل رسومات ونقوش صخرية، توجهنا لمعرفة عقلية وثقافة سكان منطقة الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث وما بعده، إضافة إلى إنها تعد شاهد على حياتهم اليومية، وعقدهم الروحية، فهي تظهر مشاهد الصيد والرقص، والرعي والطقوس الدينية، كما تشمل رموزا وعلامات قد يكون لها معاني محددة تتعلق بالأرض أو المياه، أو احداثا هامة مرت بها تلك الشعوب، وقد استخدم الانسان القديم في إنجاز تلك النقوش والرسوم، أدوات بدائية كالفحم والطين الملون واصباغ معدنية، إضافة إلى استخدامه في النقش على الصخور حفرا أو نحتا، أدوات حجرية أو معدنية، وتظهر تلك الاعمال الفنية مستوى عال من الإبداع والابتكار، وتعد الرسوم الصخرية نافذة هامة لفهم كيفية تفاعل الإنسان القديم مع بيئته، ومحاولة منه لتفسير ما يحدث حوله، كما هي نقطة هامة في مرحلة التطور الفكري الذي وصل إليه في حياته. من هذا المنطلق كان اختياري لهذا الموضوع الموسوم ب "التطور الفكري للإنسان في منطقة الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث "الصحراء الليبية أنموذجا" وذلك لتعرف على الأسباب التي أسهمت في تغير حياة الانسان القديم، وتطوره الفكري وإبداعه، بالاعتماد على مخلفاته وأدواته من خلال رسومه ونقوشه الجدارية التي تروي واقعه في تلك الفترة.

مشكلة الدراسة:

أسهمت عوامل بيئية عدة في تطور فكر الإنسان القديم، فكيف تأثر الإنسان القديم في منطقة الصحراء الكبرى بالعوامل الطبيعية؟ وما نتائج ذلك التأثير؟ من خلال هذه الإشكالية ننطلق لطرح التساؤلات الاتية:

1-هل تمتعت منطقة الصحراء الكبرى الليبية في العصور الحجرية القديمة ببيئة مناسبة لنشأة حضارة فنية رائدة؟

2-ما مدي تأثير البيئة في تطور فكر الانسان القديم في منطقة الصحراء الكبرى؟

3-كيف استطاع الانسان القديم اظهار فكرة الحدث الفني والتعبير عنه لتصبح مادة حضارية متميزة؟

4-اين ظهرت مواطن الاختلاف الزمني والموضوعي في الرسوم والنقوش الصخرية؟

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى معرفة الظروف التي مر بها الإنسان القديم خلال العصر الحجري الحديث، في منطقة الصحراء الكبرى، ومدي تقدمه حضاريا، وانتقاله من مرحلة التنقل إلى الاستقرار والأبداع الفني.

أسباب اختيار الموضوع: الاهتمام بإبراز الدور الحضاري الرائد لسكان الصحراء الكبرى.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في موضوع تطور فكر الانسان القديم في منطقة الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث، إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء التطور الفكري للإنسان القديم في تلك المنطقة، وكيفية تغلبه على الظروف القاسية التي واجهته، والحرفية الإبداعية التي استخدمها في إنتاجه الفني.

فرضية البحث:

تنطلق فرضية الدراسة من أن التحولات المناخية التي شهدتها الصحراء الليبية خلال العصر الحجري الحديث، (الفترة الرطبة) أسهمت في تطور الفكر الإنساني، بالانتقال من أنماط التفكير المرتبطة بالصيد والجمع إلى أنماط أكثر تنظيما، ارتبطت بالرعي والاستقرار النسبي. وأن الفن الصخري في الصحراء الليبية ليس مجرد توثيق لحياة الانسان، بل تعد تعبيرا عن تطور في الوعي الجمعي، والتجريد الفكري، حيث تعكس المشاهد المرسومة أو المنقوشة، مفاهيم اجتماعية، وروحية، تتجاوز الحاجات المادية.

الدراسات السابقة ذات الصلة:

اعتمدت في هذا البحث على عدة مصادر ومراجع كان لها دور رئيس في إنجازه، منها على سبيل الذكر لا الحصر، (وهيرودوت)، الكتاب الرابع أو الكتاب الليبي، ترجمة-محمد المبروك الدويب، و(أوريك بايتس)، الليبيون الشرقيون، ترجمة-محمد اومادي ومروة شحادة.

(فابريتشيو موري)، تادرات الأكاكوس-الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة-عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، و(هنري لوت)، لوحات تأسيلي-قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة-أنيس زكي، و(ريمون فيرون)، الصحراء الكبرى، ترجمة-جمال الدين الدناصوري، و(كارل ف بوتسر)، الصحراء الكبرى (تغير الطبيعة في الصحراء الكبرى نتيجة للعوامل الجوية)،

ترجمة–ميكائيل محرز، إضافة إلى المراجع الأخرى التي لم يتسنى ذكرها وهي لا تقل أهمية عن المصادر والمراجع السابق ذكرها.

قسم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: البيئة وأثرها في التطور الفكري للإنسان القديم في الصحراء الكبرى الليبية خلال العصر الحجري الحديث

المبحث الثاني: التطور الفكري للإنسان القديم في الصحراء الكبرى الليبية

المبحث الأول: البيئة وأثرها في التطور الفكري للإنسان القديم في الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث

أولا: نبذة عن الصحراء الكبرى (الموقع والتضاريس):

تمتد الصحراء الكبرى عبر أحد عشرة بلدا، ففي شمال إفريقيا مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان وفي الوسط تشاد وفي الغرب النيجر وموريتانيا ومالي وفي شرق القارة اريتريا، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وساحل سافانا من الجنوب، ويحدها غربا المحيط الأطلسي، ومن الشرق البحر الأحمر[1]. وتشكل الصحراء الليبية الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى، وهي تحتوي على السواد الأعظم من رسوم الفن الصخري. وتتنوع تضاريس الصحراء الكبرى بين الكثبان الرملية، والمسطحات الملحية، إضافة للجبال والهضاب والأحواض والمنخفضات، والأنهار، والأودية التي نراها اليوم جافة، ربما كانت في تلك الفترة غزيرة بالمياه، لكونها كانت فروع من أنهار دائمة الجريان، مثل نهري النيل و(النيجر)؛ والدليل على ذلك وجود رسومات لحيوانات مائية كالأسماك وفرس النهر والتماسيح، لأن هذه الحيوانات تحتاج إلى بيئة مائية للعيش فيها، كما توجد بها بحيرات عدة معظمها مالحة، عدا بحيرة تشاد فهي تمتاز بالمياه العذبة. وتقع جبال الأكاكوس(Akakus) في الجنوب الغربي للصحراء الليبية، القريبة من الحدود الجزائرية، ويبلغ ارتفاعها ألف متر تقريبا، وتتشكل مرتفعات الأكاكوس من صخور ترسبيه بحرية، أي صخور رملية، وكذلك تحتوي على طبقة طباشيرية بيضاء، أو بلورية واضحة، تتمثل في العناصر المعدنية الداخلة في تراكيبها، ويعد هذا الموقع من

(1)– عميرة، عائد، (الصحراء الكبرى: أقدم الصحاري وأكثرها حر)، نون بوست، منصة إلكترونية، نشر في 24.سبتمبر.2023م، د.ص.

أهم مواقع الفن الصخري التي عثر عليها في الصحراء الكبرى[1]. اما الموقع الثاني فهو جبال تأسيلي(Tassili) والتي عثر فيها على الكثير من اللوحات الفنية الصخرية، ويتفق كل من (موري وهنري) في تحديد الفترة الزمنية التاريخية لهذين الموقعين؛ فهي كما ذكرا تبدأ من فترة الصيادين وتنتهي بفترة دخول الجمل للمنطقة[2]. الموقع الثالث جبل العوينات (j.Awainat) والذي يقع في الجنوب الشرقي من الأراضي الليبية، وتؤكد الاكتشافات الأثرية في جبل العوينات سواء النقوش أو الرسوم الصخرية، أن عملية الاستيطان البشري لهذه المنطقة بين الألف السادس ق.م ومنتصف الألف الثاني ق.م، ويعد هذا الموقع نقطة التقاء وتواصل خلال تلك الفترة وما بعدها[3] كما كسيت الصحراء الكبرى خلال العصور الحجرية القديمة بالنباتات، لا سيما الجبال التي كانت تغطيها الغابات، من اشجار الصنوبر والسنديان، في الأراضي المرتفعة كالهقار وتأسيلي.

تقع الصحراء الكبرى بين منطقتين مختلفتين، من حيث هطول الامطار، فالطرف الشمالي أمطاره شتوية لتأثير الرياح الغربية، بينما الطرف الجنوبي أمطاره صيفية، نظرا لوقوعه تحت تأثير الرياح الموسمية الصيفية، إلا أن المناطق المرتفعة أمطارها صيفا وشتاء[4]. واحتوت الصحراء على كهوف كان الإنسان القديم يستخدمها كمأوى يحتمي به عند الحاجة، ونظرا لأن الظروف المناخية للصحراء كانت تختلف عما هي عليه الأن، من غزارة في الامطار، وخصوبة في التربة، وكثرة الأنهار والمستنقعات، ما ساعد الأنسان والحيوان على العيش فيها، وهذا ما عبرت عليه الرسوم والنقوش الصخرية، التي عثر عليها في تلك المنطقة، والتي تدل على حضارة عريقة وموغلة نشأت وترعرعت فيها، لا سيما ما ظهر من براعة أكدت تطورا واضحا لفكر الإنسان القديم من خلال تعبيره عما يشاهده، أو يجول بخاطره من أفكار، إضافة لما يقوم به من نشاطات، لذا تعد الصحراء الكبرى سجلا

(1)– موري، فابريتشيو، تادرات الأكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة–عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 1988م، ص 47.

(2)– لوت، هنري، لوحات تاسيلي–قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة–أنيس زكي، دار الفرجاني، ط. 2، 2009 م، ص 252.

(3)– عيسى، محمد على، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الاثرية والأنثروبولوجية واللغوية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2012م، ط.2، ص 56.

(4)_ بوتسر، كارل ف، (تغير الطبيعة في الصحراء الكبرى نتيجة للعوامل الجوية)، الصحراء الكبرى، ترجمة–ميكائيل محرز، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، 1979، ص 41.

فنيا غنيا بالمعلومات عن حياة الإنسان القديم فيها، ومراحل تطوره[1] (شكل 1)، ويرى (بايتس) أن الرسم الجداري هو جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان القديم اليومية، والتي تجلت بوضوح في لوحات الصيادين، عند التعبير عن الحيل التي كان الصيادون يستخدمونها لتمكن من اصطياد فريستهم[2]. ولكن وكما يشير علماء الجيولوجيا أن عصر الهولوسين قد تميز بتزايد الجفاف في مناطق مختلفة من الأرض، ما أدي إلى تكون الصحاري الحالية، وهجرة الانسان والحيوان من تلك الأماكن[3].

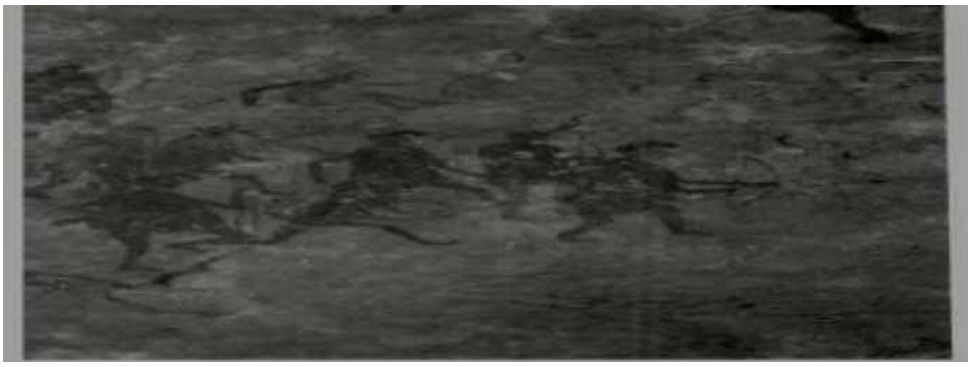

الشكل 1 –مجموعة من الأشخاص يحملون أقواس ربما يمثل أحد مشاهد الصيد، (موري ص 152)

ثانيا: أثر البيئة في سكان الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث:

مرت منطقة الصحراء الكبرى كغيرها من مناطق العالم القديم بعصور ما قبل التاريخ بمختلف مراحله، والتي عرفت بالعصور الحجرية وقد بدأت منذ ظهور الإنسان بتلك المنطقة الحديث، وهي تشكل المرحلة الأولى في تاريخ الإنسان، لأنها الفترة التي اعتمدت فيها البشرية على الأدوات الحجرية بشكل أساس في حياتهم.

ظلت الصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث، رطبة مزدهرة، وقد أشار عالم النبات (ارجست ثيقالييه) إلى أهمية مناطق الصحراء الكبرى من حيث كونها الموطن الأول للنباتات المزروعة، فالذرة الرفيعة التي تنمو الأن يرجح إنها كانت تنمو في العصر الحجري الحديث، إضافة لنبات البنسيلير

(1)– هـ.ج. هوغو، الصحراء فيما قبل التاريخ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك، اليونيسك و1988 م، ص 591.

(2)– بايتس، أوريك، الليبيون الشرقيون، ترجمة–محمد اومادي ومروة شحاتة، دار الفرجاني، 2015، ص 161

(3)– البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، 1971م، ص 27.

الذي صنف من الأرز نوع أوجلابريما وربما كان هذا النوع هو المعروف لدي جماعات الجرمنت بنبات الفو نبو، ونف الحبشة والشمام والبطيخ، ونوع من القطن لايزال ينمو بريا في الاستبس[1]، كما عجت منطقة الصحراء الكبرى، خلال العصر الحجري الحديث بالإنسان والحيوان، وذلك لما تمتعت به من توفر لمصادر المياه، تمثلت في بحيرات وانهار، وغطاء نباتي، وتربة خصبة، والدليل على صحت هذه المعلومات، النقوش والرسوم الصخرية بتاسيلي والاكاكوس والعوينات، وكذلك ما اكتشف من آثار للفخار ذي القعر المستدير، والصناعات الحجرية، وبقايا القرى في عدة مناطق مرتفعة، فقد عثر في جبال الهقار على موقع سكني يعود للعصر الحجري الحديث، وقد عرف السكان زخرفة الخزف بواسطة الخطوط المتعرجة[2]، كما ضهر خلال هذا العصر ملامح عامة لسكان منطقة الصحراء الكبرى، فيرى(جيهان دي زانج) أن العصر الحجري الحديث يبدأ مع ظهور صناعة الفخار، فيما تشير التقديرات الحديثة القائمة على كربون 14 أن أول انتشار لاستخدام الفخار في الصحراء الوسطى والشرقية وداخلها خلال العصر الحجري الحديث، لذا يمكن أن يرجع تاريخ بدايات تلك الصناعة إلى الألف السابع قبل الميلاد، والتي انتشرت في المنطقة الممتدة من أندي (Ennedi) إلى الهجار (Hoggar) وهنا يظهر التأثير السوداني، فمن المحتمل أن الصناع كانوا سودا أو أشباه

زنوج ينتمون إلى سوداني الخرطوم المبكر[3]، فيما ضهر من خلال دراسة النقوش والرسوم الصخرية التي جسد فيها الرسامين الاشكال البشرية في فترة الرعاة، أن الملامح لم يكن فيها أثرا للزنوج؛ فتقاطيعها متناسقة، ولون بشرتها بيضاء أو وردية فاتحة، وشعرها أصفر، لعل هذه المواصفات ما جعلت البعض يربط بينها وبين قبيلة التمحو الليبية التي ورد ذكرها في المصادر المصرية القديمة والتي تحمل نفس المواصفات[4]، وهذا ما أكدته الاكتشافات الأثرية التي قام بها(فابريتشيو موري) بجبال الأكاكوس (Alacacus)، حين تم العثور على عدة لوحات فنية تجسد اشكالا بشرية تميزت بتلك الصفات التي ورد ذكرها سابقا، ويرى (موري) أن رسومات هذه الفترة تعود لسكان ينتمون لجنس البحر المتوسط، وقد عثر على تلك اللوحات في منطقة وأن أميل بالأكاكوس، وهي عبارة عن مجموعة من

(1)- فيرون، ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمة-جمال الدين الدناصوري، مؤسسة محل العرب، 1993م، القاهرة، ص49

(2)- هـ.ج. هوغو، المرجع السابق، ص ص591، 592.

(3)- دي زانج، جيهان، البربر الاصليون، تاريخ أفريقيا العام، مج 2، حضارات افريقيا القديمة، جين أفريك، اليونسكو،1985م، ص433.

(4)- العرباوي، محمد مختار، البربر عرب قدامى، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993م، 159.

الرجال يسرحون شعورهم، فضهر من خلال هذه اللوحة الشعر بالون الأصفر أو الرمادي، واحيانا بلون الصخر البني حين ترك من غير تلوين(شكل 2)، لعل ذلك كان مقصودا من الرسام للدلالة على لون الشعر، لربما لم يجد صبغة قريبة من هذا اللون، فكان لون الصخرة هو الأقرب[1]، إضافة إلى لوحة أخرى عثر عليها بوادي تاشوينت في جبال الأكاكوس، وفيها تظهر ملامح الوجه بدقة عالية، ويتجلى فيها الأبداع الفني للرسام، ويرى (هنري لوت) أن الأشكال البشرية التي جسدتها هذه الرسوم تعود عرقيا لهجين من الليبيين وشعوب البحر، وهم الذين تحالفوا مع بعضهم للهجوم على مصر في نهاية الأف الثانية ق.م، وبعد احباط محاولتهم تلك، اتجهوا إلى الصحراء[2]، ولكن (محمد على عيسى) يخالف هذا الراي وربما يكون صائبا في ذلك؛ فهو يرى أنه من غير المعقول أن تتجه تلك الشعوب إلى الصحراء وبيئتها الطاردة لحلول الجفاف بها؛ في الوقت الذي تنعم فيه مناطق الشمال بالخضرة والمياه، كما بإمكانها العودة إلى مناطقها، وقد اكدت عدة دراسات أن مجموعات من هذه الشعوب قد عادة ادراجها إلى أوروبا، فيما لا تؤكد المصادر الأثرية والتاريخية بوجود شعوب البحر عند السواحل الليبية القريبة من مصر، وهنا يفترض العالم الفرنسي (دريوتون فانديه) بأن ملك مصر مرنبتاح قد اصطدم بشعوب البحر أما في فلسطين أو على الساحل المصري عند دلتا النيل، لذا من المستحيل ان تكون تلك الشعوب قد تحالفت مع الليبيين في هجومهم على مصر[3]، كما ذكر (هوغو) الكثير من الأدلة العلمية التي تؤكد إن الصحراء قد تحولت إلى أراضي جرداء مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد[4]، فكيف لبيئة طاردة ان تكون صالحة للحياة سوء للبشر أو الحيوان، لذا يمكن ان يكون أصحاب هذه اللوحات هم السكان الأصليين لهذه المنطقة وهم خليطا من الزنوج وأصحاب البشرة البيضاء، وليس بالضرورة أن يكونوا شعوبا أخرى عبرت المنطقة، وأن يكون هذا الفن الخالد هو ابتكار من هؤلاء السكان، وليس منقولا عن شعوبا أخرى، فالحضارة هي ناتج ابتكارات الشعوب وهو ليس حكرا على شعب دون الآخر.

(1)- موري، المرجع السابق، ص ص 59-60

(2)- لوت، هنري، المرجع السابق، ص 165

(2)- عيسى، محمد على، المرجع السابق، ص 63.

(4)- هـ.ج. هوغو، الصحراء ما قبل التاريخ، مرجع سابق، ص 610.

شكل 2–لوحة سخرية عثر عليها في منطقة وان اميل بالأكاكوس، تمثل رجال يسرحون شعورهم (موري، تادرارت، ص 183)

تعد تلك اللوحات من الرسوم والنقوش الصخرية من أعمال السكان في الفترة التي كانت فيها الصحراء بيئة جاذبة للعيش، وقد كانوا يمارسون حرفة الصيد فنقشوا ورسموا صورا للحيوانات بحجمها الطبيعي، حتى بلغ ارتفاع صورة الزرافة ستة امتار(الشكل 3)، والفيل ثلاثة امتار، ثم انتشرت في أرجاء مختلفة من الصحراء جماعات رعوية، فظهرت ثقافة الرعاة التي صورت لنا الحيوانات المتوحشة والمستأنسة، وقد ظهرت تلك المجموعات البشرية الرعوية في الصحراء الكبرى منذ

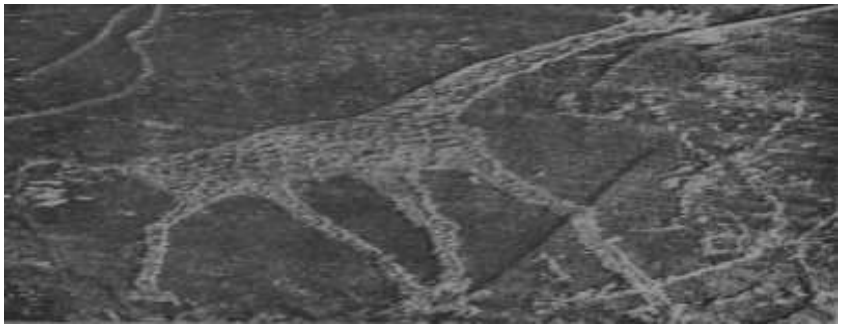

الشكل 3–زرافة دور الحصان، تين العاشق، تادرارت الأكاكوس (موري، ص 86)

الألف السادس قبل الميلاد، هذا ما أكدته الأدلة الأثرية والتاريخية[1]، كما صورت لنا النقوش والرسوم الصخرية الكباش الحاملة للقرص بين قرنيها، وربما ذلك يعود لبعض الطقوس الدينية، ولعل صورة الثور الحامل بين قرنيه قرص وهو يمثل الاله الليبي قورزيل (Gurzil) الذي كان يعبد عند الليبيين في حوالي القرن السادس ق.م، وقد عثر على نقش يحمل اسمه في منطقة(الخضراء) بمدينة ترهونة،

(1)– عيسى، المرجع السابق، ص 66.

وكانت عبادته منتشرة بشكل واسع في ليبيا قديما، يعود هذا الاله بجذوره العقدية إلى أصحاب تلك النقوش والرسوم الصخرية [1].

صور سكان الصحراء الكبرى، الجماعات البشرية في نقوشهم ورسومهم التي عثر عليها في الأكاكوس، وتأسيلي، والعوينات بأشكال عدة محفورة جسدت أناسا لهم أذناب ورؤوس حيوانات، ربما تكون من ضمن طقوسهم، أو رمز لعقدهم الدينية، كما شاهدنا اخرون يحملون ريشا على رؤوسهم، وهذه المشاهد عثر على مثيلتها لدى المصريين القدماء في الالف الربعة قبل الميلاد، واستمرت بعد ذلك فترة طويلة، وهكذا نرى التوافق بين سكان الصحراء الكبرى والمصريين لربما يرجع ذلك لأصول مشتركة بينهم [2]، فيما تدل نقوش ورسوم صخرية عدة على الحياة الحضارية التي عاش فيها اللبيين في تلك المناطق من الصحراء الكبرى، فاللوحة التي عثر عليها في تين لالان بالأكاكوس، وهي تجسد شخصين واقفين يظهرا بنفس الملامح، ونفس تسريحة الشعر ويضعان الريشة، والتي اشتهر الليبيين بها في الفترة القديمة[3] (شكل 4)؛ إضافة لما اظهرته المصادر المصرية من خلال الصور المرسومة على جدران المعابد[4]، كما يرى (موري) أنه في ضوء الدراسة الاثنو–انتروبولوجي للرسوم والنقوش الصخرية؛ تم الوصل من خلالها إلى نتيجة مفادها أن النماذج البشرية في تلك المكتشفات تتفق كثيرا مع الطوارق الحاليين المتواجدين في الصحراء الكبرى، ويرجح ذلك لمحافظة البيئة بشكل قوي على بقايا السكان من الدور الرعوي، وانتشارهم على مساحات صحراوية واسعة حول مرتفعات الهقار وتأسيلي والاكاكوس[5].
ومن خلال أساليب الرسم المختلفة يمكن تميز ثلاثة أنواع من لباس السكان، فقد أظهرت الرسوم مجموعة أشخاص يرتدون إزارا طويلا يتدلى من الامام والخلف، ربما يكون قد صنع من الجلد، ويتكون من قطعتين أو أربع (الشكل 5)، وتظهرهم تلك اللوحات أما في مجموعات اثناء العمل، أم في حالات الرقص والحفلات (الشكل 6)، كما نلاحظ أشخاص آخرون يرتدون إزارا بالون الأبيض، ويحملون الأقواس والسهام؛ ربما يقومون بحماية قطعان الابقار، لما تظهره تلك الرسوم من مشاهد حربية، اما المجموعة الثالثة فنلاحظ أشخاصا بحزام العورة فقط، وتظهر هذه الأشكال غالبا في مشاهد الصيد أو

(1)– الميار، عبد الحفيظ فضيل، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2009م، ص 336

(2)– فيرون، ريمون، الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص ص 50–51.

(3)– موري، مرجع سابق، ص 207.

(4)– عيسى، مرجع سبق ذكره، ص ص 61،62.

(5)– موري، المرجع السابق، ص 61.

رعي الأبقار والماعز، ولعل هؤلاء هم رعاة[1]. كما دلت المكتشفات الأثرية في منطقة العوينات والتي عثر فيها على فتات من الأحجار والأدوات، إضافة لوجود المدافن والتي تدل على الوجود السكاني، فيما أشارت المكتشفات الأثرية إلى أن التواجد البشري كان لفترات طويلة الأمد من قبل مربي الماشية، وفيما يبدوا أن جبل العوينات كان على اتصال مع وسط الصحراء في فترات مبكرة من دور الصيادين والرؤوس المستديرة[2].

الشكل 4–لوحة تجسد شخصان بنفس الملامح، الدور الرعوي الحديث، تين لالان، تادرارت الأكاكوس (موري، ص 207)

الشكل 5–لوحة رسم تبين ثلاثة اشكال بشرية بأنواع مختلفة من اللباس، الدور الرعوي القديم، وان اميل، تادرارت الأكاكوس (موري، ص 184)

(1)– فان توتن، فرنسيس، الصحراء الكبرى (اكتشاف رسوم صخرية جديدة في جبل العوينات)، ترجمة–عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الشعبية الاشتراكية، 1979م ص ص 11–118

(2)– فان توتن، المرجع نفسه، ص116

الشكل 6–لوحة رقص، نهاية دور الرؤوس المستديرة، تادرارت الأكاكوس (موري، ص 171)

المبحث الثاني: التطور الفكري للإنسان القديم في الصحراء الكبرى

أولا: ظهور الحدث الفني عند الإنسان القديم في الصحراء الليبية

أن الحدث الفني كفكرة برزت في خيال الإنسان القديم، تعد ظاهرة يجب الوقوف عندها، أما ظهورها كأثر مادي ملموس؛ يعد من أهم التطورات الحضارية التي مرت بها الجماعات البشرية في بداية ظهورها على وجه الأرض، لا سيما وأن الفن الصخري هو أقدم أشكال التعبير الفني التي أبتكرها الإنسان في عصور ما قبل التاريخ. **فما هي الأسباب الكامنة وراء هذا التحول الجذري من البدائية إلى البناء الحضاري؟**

أن البحث في معرفة الأسباب الكامنة وراء تحول الإنسان القديم من بدائية صرفه إلى بناء حضارة خالدة، يقود إلى الغوص في سبر تاريخ هذا الإنسان، والظروف التي قادته للوصول لهذا الحدث الفني الفريد والمميز، فالرسوم والنقوش الصخرية تعد البدايات الأولى لتعبير عند الإنسان القديم في منطقة الصحراء الكبرى، فربما تكون لغته في ذلك العصر قبل معرفته للكتابة، وقيامه بالرسم والنقش على مداخل الكهوف وخارجها، وعلى ضفاف الأودية، كل ذلك كان ضربا من التعبير الإبداعي الذي وصل إليه الفكر الإنساني في تلك الحقبة، تجسد في رسومات ونقوش عدة خلال مراحل زمنية مختلفة[1]، إضافة إلى أن الفن الصخري في الصحراء الكبرى يعكس تنوعا في الأساليب والانماط، التي تظهر التطور الفني والإبداعي للإنسان القديم في تلك المنطقة؛ فالرموز والألوان والانماط التجريدية، والأشكال والمناظر الطبيعية، والدلالات الرمزية، ماهي إلا وسيلة لفهم جوانب من الحياة الروحية والثقافية للسكان في عصور ما قبل التاريخ، فهي بمثابة مدونة تاريخية للأحداث، فقد عبر الرسامون عن التفاعل بين الإنسان والبيئة، من خلال التركيز على المناظر الطبيعية، كدليل على مدى تأثر

(1)– محمد، إبراهيم موسى، المضامين الحضارية والبيئة القديمة للصحراء الليبية من خلال لوحات الفن الصخري، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس–بنغازي، ع.19، 20، 1995، ص ص173،172.

حياته اليومية بالعوامل البيئية والمتغيرات المناخية، فيما تظهر مشاهد الصيد أو الرعي، أو الاحتفالات والطقوس (شكل 6 سابقا)، وسيلة لرواية الأحداث وتوثيقها، ونقل المعلومات عبر الأجيال، كما تعكس بعض الأنماط التجريدية والرموز دلالات روحية او معتقدات وطقوس خاصة تهدف للحماية من القوة الخارقة، وهذا ما عبرت عنه اللوحات التي تحتوي على رسوم لأشكال هندسية وكائنات أسطورية أو آلهة ربما كانت تعبد في تلك الفترات، أو هي جزءا من عقدهم الدينية، فيما عكست الرسومات التي تتضمن أشكالا بشرية أحيانا دقيقة الأبداع، ومشوهة حينا آخر دلالة واضحة على التفاعل بين أفراد تلك المجتمعات من خلال الأنشطة الاجتماعية، كما نلاحظ من خلال تلك الرسوم والنقوش الأهمية الكبيرة التي أولاها الانسان القديم للحيوانات، وذلك يعود لأهميتها في حياته، وكذلك تنوعها وكثرتها ويتضح ذلك من اعتناء فنانين تلك الفترات برسم أدق التفاصيل لحركات الحيوانات وأنواعها، وقد ابتكروا لذلك الوانا وتقنيات معاصرة لهم، كالالون الطبيعية؛ مثل الأخضر والأحمر والأصفر والرمادي، وأحيانا يتركونها بلون الصخور، فيما استخدموا لتلوين رسوماتهم معدات بدائية، كالأصابع والأدوات المصنوعة من الحجارة، أما الطرق المستخدمة في تدوين الأحداث فكانت الرسم المباشر على الصخور أو النقش بواسطة تلك الأدوات .

أسهمت الرسوم والنقوش الصخرية في تقديم لمحة تاريخية عن الحياة الاجتماعية والروحية والبيئية لسكان الصحراء الكبرى في تلك العصور الغابرة، إضافة إلى كونها أعطت فكرة واضحة عن التطور الفكري للإنسان عبر المراحل الزمنية، من خلال دراسة الأساليب الفنية والتعبير الثقافي الذي ظهر في شكل اعمال فنية، أضحت بمثابة النواة لمعرفة كيف شكل التفاعل بين البيئة والإنسان أساس بناء حضارات عظيمة[1]، لا سيما وقد مثلت الاعمال الفنية الصخرية، أول وسيلة للتعبير الخطي عن المشاهد، والمشاعر، والمعلومات المتنوعة للظروف الحياتية للسكان في تلك الفترة، والتجارب التي عاشتها المجموعات البشرية في سلسلة غير متناهية داخل نطاق مجموعات أكثر تحفزا في احتكاكها بالطبيعة، وأنها نفذت لحيز اللغة لكنها أثرته بتعدد المعاني الممكن تضمينها لكل رمز، فهي أداة التعبير في تلك الفترة الزمنية، ولذا تعد شواهد فن ما قبل التاريخ أول ظاهرة للغة المرسومة، لا سيما عند ازدياد سرعة المعلومات القابلة للنقل، مما ساعد على ظهور الأفكار الجديدة والتي جعلت الإنسان القديم، يتخطى ربقة الطبيعة. كما أن الفن في تلك العهود يعد اكثر من اللغة نفسها، فالإنسان لكي يصل إلى النقش والرسم على الصخر؛ وجب عليه أن يكون واعيا باللغة نفسها ويجعل منها أداة

(1)- لوت، هنري، مرجع سابق، ص 256، وكذا موري، المرجع السابق ص ص 249-251.

وهيكلا، فيما يعرف في علم الإشارات "ما وراء اللغة"، لذا نجد إن التقنيات المستعملة من قبل فنانوا تلك الفترة في النقوش والرسوم، تبدو في أعين الفنان المعاصر من الأشياء الخارقة، فالحفر في الصخور يحتاج إلى صبر وجهد، وكذلك حنكة ومقدرة تفوق المستوى العادي، ومثال ذلك النقوش الموجودة في وادي برجوج الذي يدل على إنه ثمرة لسلسلة طويلة من الخبرات، لاسيما وأنه يدل على الوعي وقمة الابداع الفني الذي كان عليه أولئك الفنانون[1]. ولعل الانسان في ذلك العصر، كان يقصد من خلال رسمه أو نقشه لتلك اللوحات كنوع من الرموز العقدية والتعاويذ السحرية، لحمايته من اهوال الطبيعة، وتسخير ما فيها من حيوانات لتامين متطلباته المعيشية.

ثانيا: التباين الموضوعي والزمني للرسوم والنقوش الصخرية

اختلفت النقوش والرسوم الصخرية التي عثر عليها في جبال الأكاكوس وتأسيلي، والعوينات بالصحراء الكبرى الليبية؛ من حيث المواضيع التي تتحدث عنها، وكذلك الفترة الزمنية، **فأين ظهر ذلك الاختلاف؟**

للوصول إلى توضيح التباين بين المواضيع التي تحدثت عنها النقوش، والرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى، يجب معرفة المواضيع التي تمت مناقشتها عن طريق الفن الصخري خلال تلك الفترات المتعاقبة من الزمن. فرغم اختلاف المضامين التي تحدثت عنها الرسوم والنقوش الصخرية، إلا أن أغلب تلك اللوحات كانت في ثلاثة اتجاهات وهي البيئة، والإنسان، والحيوان؛ لذا يجب تتبع الفترات التي مرت بها الصحراء، من خلال ما قام به علماء الآثار من تقسيمها إلى خمسة ادوار كالاتي:

1-**دور الحيوانات الكبيرة والمتوحشة**، واغلبها نقوش ترجع لعهد الصيادين، والأشكال التي وجدت في الأكاكوس لا تختلف عن الاعمال الكبيرة التي وجدت في وادي البر جوج والركين، وتنتشر النقوش في مساحة كبيرة، على خلاف مساحة اعمال الرسم للفترات اللاحقة، وقد أوضحت تلك النقوش أنواعا من الحيوانات الكبيرة والمتوحشة كالفيل والزرافة والتمساح وافراس النهر والكركدن، وهي من أنواع الحيوانات التي تحتاج إلى مصادر ماء دائمة واعشاب، لاسيما أن تلك النقوش تعود إلى فترة عصر الصيادين، هذا ما أظهرته الرسومات التي توضح جماعات بشرية ترمي بالعصي المنتهية أطرافها برؤوس حجرية كالحراب على الحيوانات، وهم يرتدون أقنعة على شكل رؤوس حيوانات كنوع من الحيل لتمويه تلك الحيوانات لكي يسهل اصطيادها، وهذا يدل على الذكاء الذي ميز الجماعات

(1)- موري، المرجع نفسه، ص ص 253-257

البشرية في تلك الحقبة التاريخية، فيما يعد تطورا فكريا للإنسان القديم، ونموا ملحوظا لملكة الحدس لديه، والغالب على تلك الفترة أن رسوماتها غير ملونة[1] والتي يرى عدة باحثين بأنها تعود لفترة ما قبل الألف الثامنة ق.م[2].

2-**دور الرؤوس المستديرة**، يعد هذا الدور غني جدا باللوحات الفنية المرسومة على الصخور، وبالمقارنة مع النقوش؛ فلا يماثله إلا عدد قليل منها، وهو يسبق زمنيا فترة رسومات القطعان الكبيرة من الثيران، وتشكل الأشكال البشرية ذات الرؤوس المستديرة الضخمة، نواة تلك الرسوم، لذا نسب اسم تلك الفترة لها؛ فيما يلاحظ أن الرسوم بدأت طور التلوين، الذي استخدم أولا في تحديد الملامح الخارجية، ثم تلون الرسوم من الداخل بالألوان الأصفر أو الأخضر أو الأحمر (الشكل 8)

الشكل 8-لوحة تجسد شكلان بشريان محددان من الخارج باللون الأحمر بداية الرؤوس المستديرة (موري، ص 165)

3-دور الرعي: تميز هذا الدور عن سابقيه، بوصول الإنسان القديم فيه إلى قمة الإبداع الفني؛ من خلال لوحاته المرسومة أو المنقوشة على الصخور ذات الألوان المختلفة، لاسيما في العصر الحجري الحديث، فقد تجلت صور عدة للمعايير النسبية بكل دقة[3]، ويرى (هنري لوت) أن هذه اللوحات تمثل أعظم مدرسة للفن الطبيعي في العالم، وقد استعمل فنانو تلك الفترة الصباغ الحمراء، إضافة إلى الصفراء والبيضاء في تحديد الخطوط الخارجية، وإظهار بعض التفاصيل؛ فيما كان

(1)- موري، المرجع السابق، ص ص 43-50.

(2)- لوت، هنري، المرجع السابق، ص 105. وكذا موري، المرجع نفسه، ص 50

(3) - موري، المرجع السابق، ص151.

تركيز أولئك الرسامون على الماشية، ولعل ذلك ناتج عن المكانة العالية التي كانت لتلك الحيوانات في حياة الاقوام البشرية القديمة في منطقة الصحراء الكبرى، كما توضح اللوحات الفنية تطور هام في تاريخ السكان؛ إلا وهو استئناس الإنسان القديم في هذا العصر للحيوانات، وقد انتشرت تلك اللوحات الفنية في عدة أماكن من تاسيلي، والاكاكوس

4-**دور الحصان:** عثر في مواقع عدة بالصحراء الكبرى على للوحات فنية غاية في الإبداع، رسمت على واجهات صخرية، عليها صورا للحصان، بشكل منفرد، أو متصل بعربة، ويعد دخول الحصان للمنطقة إذنا بنهاية عصور ما قبل التاريخ، وكان ذلك حوالي القرن الثاني عشر ق.م، وقد بدأت المنطقة في التحول إلى التصحر بسبب الجفاف الذي أصابها مع منتصف الألف الثالثة ق.م، وقد أتاح دخول الحصان للمنطقة؛ استخدامه عبر طرق الصحراء الكبرى في نقل السلع التجارية من خلال جر العربات ذوات العجلتين، والأربع عجلات خلال الأزمنة التاريخية القديمة، هذا ما أكدته. إلا أن زيادة نسبة التصحر في الصحراء أسهمت في طرد الحصان من المنطقة، لعل ذلك يعود لعدم تحمله للعطش والجوع، واستبدل بالجمل وذلك لقدرة الأخير على التحمل وقطع المسافات.

5-**فترة الجمل:** تعد هذه الفترة هي الخاتمة لفترات الفن الصخري القديم، فهي تبدأ من ظهور الجمل؛ قبيل الميلاد وتنتهي بالوجود الإسلامي في الصحراء [1]، فقد عثر على رسومات تحتوي على صورا للجمل في تلك الفترة، مرسومة على الصخور باللون الأحمر في شكل قوافل ومن الجدير بالملاحظة؛ أن فترتي الحصان والجمل مثلت أضعف فترات الفن الصخري، هذا إذا ما قرنت بالفترات السابقة، لاسيما فترة الرعي التي تجلت فيها قمة الإبداع الفني الذي وصل إليه فنانو تلك الفترة [2].

أن النقوش المحفورة واللوحات المرسومة في الصحراء الكبرى تعد إحدى أهم الاكتشافات لحضارات ما قبل التاريخ، إذ لم يكن أحد يظن أن في هذه الصحراء المترامية الأطراف كل تلك الأنواع المختلفة من الحضارات، التي تفاوتت بالزمن واختلفت في الأسلوب، فلكل فترة ظروفها، وإشكالياتها الخاصة بها، ففترة الرؤوس المستديرة مثلا؛ المرحلة القديمة منها تحتوي على أشكال بشرية صغيرة ذات أجسام منتظمة ورؤوس مستديرة ضخمة لدرجة المبالغة فيها، مرسومة جميعها باللون الأخضر، أما في

(1)- موسى، مرجع سابق، ص187

(2)- عيسى، مرجع سابق، ص59.

المرحلة المتطورة عن سابقتها؛ فهي تتميز بتعدد الألوان؛ وفي بعض الأحيان بلون واحد كالتي توضحها لوحة الأقنعة الزنجية في إينياليون (الشكل9)، ويرى (هنري لوت)؛ ان هذا القناع يشبه كثيرا القناع الذي لا يزال يستعمله سكان ساحل العاج فيما يعرف لديهم بحفلات البلوغ، إلا أن الأسلوب هو نفسه أسلوب الرؤوس المستديرة، أما الأشكال فحجومها أكبر؛ ولكنها معالجة بطريقة أفضل من السابق، إضافة إلى ما تميزت به تلك المرحلة من إبداع للفنانين من حيث التفاصيل الفنية أو الزخرفية، فيما ازدادت عنايتهم بإبراز موضوعاتهم التي تشمل الأشكال البشرية والتي تظهر فيها رؤوسها أقل ضخامة من المرحلة السابقة، إلى جانب أشكال بعض الحيوانات كالفيلة والكركدن ونوعا من أفراس النهر[1]، وتعد الفترة الأخيرة من الرؤوس المستديرة، هي فترة التدهور الفني للرسوم، فقد فقدت الصورة الجمالية، من حيث الأسلوب البسيط في الرسم، والأشكال المختصرة، ويتضح من خلال هذه الرسومات أن الفنانون لم يهتموا بالصور الجمالية لتلك اللوحات بقدر اهتمامهم بضخامة الاحجام[2]، مما سبق يمكن ان نستنتج أن فترات الفن الصخري تمتاز بأسلوبين مختلفين هذا ما أظهرته الدراسات التي أجريت عن أثار تلك الفترة، فيرى البعض أن فنانو الفترة الأولى والتي تشمل فترتي الحيوانات الاستوائية، والرؤوس المستديرة، هم من الزنوج، فحين يرى أخرون انها ربما تعود لفنانين من جنس البحر المتوسط، ولكن لم يتم التعرف عليهم فالبعض يراهم أصحاب بشرى بيضاء، وأخرون يروهم هجينا[3]، فيما ارتبطت عملية تحديد الفترة الزمنية بين النقش والرسم، بعدة مواضيع منها تحديد الأجناس والسلالات، والعوامل المناخية والعلاقات القديمة[4]، لذا يصعب تحديد السبق الفني للنقوش، أم الرسوم، أو ربما كانا في زمن واحد، ولهذا اتفق المؤرخون على تقسيم الفترات الزمنية للنقوش والرسوم حسب المتغيرات البيئية التي عاشها الإنسان القديم، وصنفت وفق أنواع الحيوانات والمواد والأدوات المستخدمة، وكذلك الأساليب الفنية والتقنية، وقد قسمت إلى أربعة أدوار، ولكل دور فترة زمنية، بدءا من الحيوانات الكبيرة والمتوحشة، وكان اغلبها نقوش، أما فترة الرؤوس

(1)– لوت، هنري، المرجع السابق، ص ص254، 255.

(2)– لوت، المرجع نفسه، ص 259.

(3)– عيسى، المرجع السابق، ص 60.

(4)– موري، مرجع سبق ذكره، ص 157.

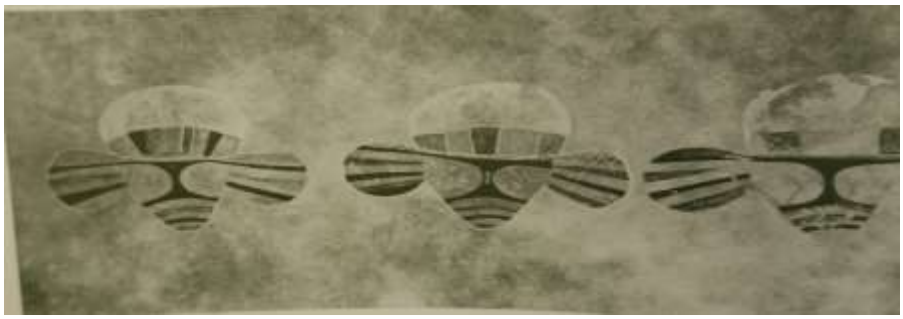

الشكل 9-اقنعة للزنوج (هنري لوت، ص 231)

المستديرة فيغلب على لوحات تلك الفترة الرسم، فيما جمعت الأدوار الرعوي، والحصان والجمل بين النقش والرسم[1]، ومن خلال هذا العرض يتضح أن الدورين الأول والثاني كانا مختلفين حيث يغلب طابع النقش على لوحات الدور الأول (الحيوانات الكبيرة والمتوحشة)، بينما يغلب الرسم على دور الرؤوس المستديرة، فيما اشتركت نقوش ورسوم الأدوار الثلاث الأخيرة في المكان والزمان فهي تعد متشابه في النقوش والرسوم، وتتابعها الزمني، ويبدوا من خلال الأدوار الثلاثة الأخيرة الترابط بين النقوش والرسوم، هذا ما أكدته لوحات عدة، على عكس الدورين الأول والثاني[2] .

استطاع الانسان القديم في الصحراء الكبرى، من خلال تنوع فنه واختياره للحدث الفني الذي جسده بالنقش على الصخور، أو الرسم، أن يعطي فكرة عن حياته اليومية التي عاشها في تلك الفترة من التاريخ، كما أنه لم يكتفي في صنع مادته الحضارية على ما وفرته له طبيعة بيئته، انما تعداها بالعمل على تطوير نفسه من خلال تطور أفكاره، حتى توصل إلى تهذيب الحجارة التي استخدمها في معظم ادواته، ثم عرف صناعة الفخار، وكان الحدث الاضخم في حياته هو وصوله إلى قمة الأبداع الثقافي الذي تجلى في المستوى الفني المتقدم في النقش والرسم، ما دلت عليه تلك اللوحات من خلال تناسقها وقوة تعبيرها عن المشاهد التي صورتها بحرفية عالية، فكان هذا الفن بمثابة حجر الأساس في البناء الفني الحضاري الذي أزدهر مع فجر التاريخ.

الخاتمة

أن الصحراء الكبرى في الفترة الممطرة كانت غنية بالمياه والغابات والنبات، لذا أضحت بيئة جاذبة للإنسان والحيوان، **و**يعد وجود النقوش والرسوم الصخرية في معظم أنحاء الصحراء الكبرى، دليل

(1)- موري، المرجع السابق ص 37. وكذا-لوت، المرجع السابق، ص 253.

(2)- موري، المرجع نفسه، ص39

واضح على أنها كانت تعج بالإنسان والحيوان، فقد كانت الصحراء في العصر الحجري الحديث يسكنها رعاة مسلحون بالقوس والنشاب، إضافة لما أثبتته الموضوعات التي تحدثت عنها اللوحات الصخرية، المحفورة على جدران الكهوف وفي الاودية، ما جعل من الصحراء متحفا فنيا كبيرا لعصور ما قبل التاريخ، يدل على مدى التطور الفكري للسكان في منطقة الصحراء الكبرى الليبية، وقد برز أسلوبان لهذا الفن أحدهما رمزي، والأخر صريح، لاسيما انها قد أوضحت التباين الزمني والموضوعي لتلك اللوحات، بدأ من فترة الصيادين التي ظهرت فيها الحيوانات المفترسة كالأسود والتماسيح، إضافة للحيوانات غير المفترسة كالفيلا، وأفراس النهر، والخرتيت، ثم فترة الرؤوس المستديرة؛ والتي احتوت إلى جانب رسوم الحيوانات على أشكال بشرية ذات رؤوس مستديرة، أما فترة الرعاة فقد تميزت بتقدم الفن الصخري بدقة وتناسق الأشكال الفنية، وكذلك باستخدام الألوان لتوضيح تلك الأشكال المنقوشة أو المرسومة، ثم تأتي فترة الحصان وتاليها فترة الجمل، إلا أن هذه الفترة تعد فترة تدهور الفن الصخري. فيما نبأت اللوحات الفنية للمجموعات السكانية للفترات الثلاث الأولى سواء للوحات المنقوشة أو المرسومة على المستوى الفني المتقدم الذي كان يتمتع به فنانو تلك الفترات، كما دل على ما أحرزه أنسان الصحراء من تقدم حضاري في عصر الصيادين كان الأساس الذي أزدهر عليه الفن الصخري الملون بالألوان الطبيعية في فجر التاريخ من حوالي 2500سنة ق.م. ويمثل هذا الفن إرثا فنيا غنيا يحمل في طياته أسرار الحياة القديمة، والتعبير الإنساني الأول، فتلك الأعمال الفنية الرائعة، ليست مجرد لوحات رسمت أو نقشت على الصخور، وإنما تعد مخطوطة وثائقية للتاريخ البشري في تلك المنطقة، ودليل لا يساوره الشك على الحاجة الفطرية للتعبير والفهم عند الإنسان. لذا يجب المحافظة على هذا الإرث الثقافي الحضاري، وتذليل الإشكاليات التي تواجه الباحث، حتى يتمكن من الوصول إلى أفضل النتائج.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

1-هيرودوت الكتاب الرابع الكتاب السكيثي أو الليبي، ترجمة-محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي-ليبيا، 2003م.

المراجع العربية:

1-البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، 1971م.

2-العرباوي، محمد مختار، البربر عرب قدامى، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993م.

3-الميار، عبد الحفيظ فضيل، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى،2009م.

4-عيسى، محمد علي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الاثرية والأنثروبولوجية واللغوية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2012م، ط.2.

المراجع الأجنبية المترجمة:

1-أوريك بايتس، الليبيون الشرقيون، ترجمة-محمد اومادي ومروه شحاته، دار الفرجاني، 2015م.

2-بوتسر، كارل ف، (تغير الطبيعة في الصحراء الكبرى نتيجة للعوامل الجوية)، الصحراء الكبرى، ترجمة-ميكائيل محرز، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية 1979م.

3-دي. زانج، جيهان، البربر الاصليون، تاريخ أفريقيا العام، مج2، حضارات أفريقيا القديمة، جين أفريك، اليونسكو، 1985م

4-فان توتن، فرنسيس، الصحراء الكبرى (اكتشاف رسوم صخرية جديدة في جبل العوينات)، ترجمة-عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، 1979م.

5-فيرون، ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمة-جمال الدين الدناصوري، مؤسسة محل العرب، 1993م، القاهرة.

6-لوت، هنري، لوحات تاسيلي-قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، دار الفرجاني، ط.2، 2009م.

7-موري، فابريتشيو، تادرات الأكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة-عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، الجماهيرية العربية الشعبية الاشتراكية العظمى، 1988م.

8-هـ.ج، هوغو، الصحراء فيما قبل التاريخ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك، اليونيسك، 1988م.

الدوريات:

1-مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس-بنغازي، أبراهيم موسى محمد، (المضامين الحضارية والبيئة القديمة للصحراء الليبية من خلال لوحات الفن الصخري)، ع 19، 20، 1995م

شبكة المعلومات الالكترونية:

1-عميرة، عائد، نون بوست، منصة الكترونية، (الصحراء الكبرى: أقدم الصحاري وأكثرها حرا)، نشر في 24.ديسمبر.2023م

Region Intellectual Development of Humans in the Great Sahara During the Stone Age “The Libyan Desert as a Model”

Fatima Aboulqasim Alsaedawi
Faculty of Arts and Sciences, Badr-University of Zintan
fatima.alsaedawi@uoz.edu.ly

Abstract

Since ancient times, the Great Sahara Desert was teeming with humans and animals, particularly during the Paleolithic periods. The Libyan Desert formed the central part of this vast desert. The geographical location of the Sahara contributed to the influx of human and animal migrations and their settlement there, as it was an attractive region for both humans and animals due to the availability of water resources, vegetation cover, and dense forests. Mountain ranges were once covered with trees and constituted the most important areas of rock art ، The rock engravings and paintings discovered in the Libyan Desert represent the pinnacle of artistic creativity achieved by early human thought. These works were executed on rock surfaces, inside and outside caves, and along valley banks. Rock engravings and paintings went through several stages that were largely similar in content and ideas, while differing in time period, style, and techniques , The stages experienced by the Libyan Desert varied according to changing climatic conditions. The earliest works left by hunters of large animals may date back to a period of high humidity, as indicated by the abundance of large and wild animals. Later, hunting began to lose its role as a means of subsistence, possibly due to the decline in animal populations or the emergence of new economic alternatives. This occurred during the artistic phase known as the “Round Heads” period, when early humans settled near watercourses and began producing pottery.

With the onset of aridity, early humans turned to animal husbandry, especially in highland areas, where the creative rock art of the pastoral civilization emerged at its highest levels of style and expression. Subsequently, the horse appeared in response to human needs, and with increasing aridity in the region, the camel emerged—perhaps due to its ability to endure and adapt to desert conditions.

Keywords: Great Sahara Desert, intellectual development, early humans.